﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [آل عمران: 56- 57]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُما:

تفصيل الجزاء والفصل بين المؤمنين والكافرين، فيما اختلفوا فيه:

لَمَّا قرّر الله تعالى رجعة البشر إليه في القيامة، والحكم بينهم فِيمَا كانوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، بَيَّنَ مَا فِي ذَلِكَ الاِخْتِلَافِ من تصادم بين الكفر والإيمان، بحيث كَفَرَ قَوْمٌ وَآمَنَ آخَرُونَ، وبيّن أنّ الْحُكْمَ فِيمَنْ كَفَرَ، أَنْ يُعَذِّبَهُ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأنّ الْحُكْمُ فِيمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ الصَّالِحَاتِ، أَنْ يُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ[1]، وذلك مقتضى حكمة الله الجليلة، في العدل في الجزاء الوفاق، مقابل الإحسان في العمل، أو الانزلاق في مهاوي المعصية والزّلل، فيكافئ كُلًّا بحسب ما قدّمت يداه، لأنّه عدْلٌ كريمٌ، لا يظلم في حكمه أحدًا.

❁ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

1) ﴿كَفَرُواْ﴾: من الكفر، وَهُوَ السَّتْرُ وَالتَّغْطِيَةُ التّامّة الّتي لا يظهر معها شيءٌ من المغطّى، وهو نقيضُ الإيمان[2]، ونقيضُ الشّكر، سُمِّيَ بذلك لِأَنَّهُ تَغْطِيَةُ الْحَقِّ والنّعمة[3]، ويستحقُّ من يكفر أن يعذّب عذابًا أليمًا، ومن يؤمن أن يُوفّى أجره كاملًا غير منقوص، وبذلك يتناسب معنى اللّفظ مع غاية السّياق، في تصوير ما أعدّ الله لهؤلاء وأولئك.

2) ﴿فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا﴾: العذاب هو العُقوبة، وقد عذَّبْتُه تعذيبًا[4]، وقوله تعالى: ﴿فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾: أي يُعذِّبُهم في الدُّنيا بالقتل والسَّبي والجزية والصَّغار، وفي

(1) الرَّازي، مفاتيح الغيب: 8/240.
(2) الخليل، العين، وابن فارس، المقاييس، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (كفر)،
(3) الزُّحيليُّ، التَّفسير المنير: 3/242.
(4) الجوهري، الصّحاح: (عذب).

الآخرة بعذاب النَّار[1]، والشّدة وصفٌ لحالتي العذاب الدّنيويّ والأخرويّ، وكلاهما مستحقّ وعادل، لأنّ الله ليس بظلّام للعبيد.

3) ﴿نَّٰصِرِينَ﴾: نَصَرَ المَظلومَ يَنْصُرهُ نَصْرًا، وَالِاسْم النُّصْرَة: إذا أَعَانَهُ على عَدُوِّه وشَدَّ مِنْهُ[2]، ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾، أي: ليس لهم من ينصرهم من عذاب الله أو يدفع عنهم عِقابهُ[3].

4) ﴿أُجُورَهُمْۗ﴾: الأَجْرُ: الثَّوابُ، وَبَدَلُ المَنْفَعَة، وقَدْ أَجَرَه يَأْجُرُهُ إذا جَزاهُ وأَثابَهُ وأَعْطاهُ؛ وأَصْلُ الأَجْرِ الجَزاءُ على العَمَلِ، فَهُوَ ثَوَابُ الْأَعْمَالِ وجَزَاؤُهَا[4]، ولا يُستخدم الأَجرُ إلَّا في النَّفع.

5) ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أَصْلُ الظُّلْمِ: حَجْبُ ما يَنْبَغِي أو ما يُسْتَحَقُّ، بِمَنْعِهِ أو انْتِقَاصِه، والظُّلْمُ: وَضْعُ الشَّيْءِ في غَيْرِ مَوْضِعِه، بِالتَّصَرُّفِ في مِلْكِ الغَيْرِ ومُجَاوَزَةُ الحَدِّ، إذ في ذلك مَنْعُ صاحبِ الحقِّ حَقَّه، أو إعطاؤُه حقَّ غيرِه[5]، أو: أخذُكَ حقَّ غَيْرك[6]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، أي: لا يحب الّذين ظلموا وكفروا والّذين أصبح الظُّلم صِفة ثابتة عندهم[7].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

الكفرُ عاقِبتُه الخَيبةُ والخُسْرانُ، والإيمانُ جزاؤُه الجنَّة والرِّضوان:

فسأحْكُم بينكم فيما كنتم تختلفون فيه، من كتابٍ أنزلتُه، ورسولٍ بعثتُه ليخرجكم من الظُّلمات إلى النُّور، فاختلفتُم فيه، فمنكُم مَن آمنَ، ومِنكم من كَفَر، فأمَّا الَّذين كفروا فأعذِّبهم عذابًا شديدًا في الدُّنيا والآخرة، وأمَّا الَّذين آمَنُوا بِعيسى وصَدَّقوا نبوَّته، وما جاء به من عند الله، وعملوا الصَّالحات، بفعل الأوامر وترك النَّواهي، فيعطيهم

(1) القنوجي، فتح البيان: 2/252.
(2) الزَّبيدي، تاج العروس: (نصر).
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 2/2.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أجر)، أبو حيَّان، البحر المحيط: 3/181، جبل، المعجم الاشتقاقي: (أجر).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (ظلم) بتصرف، والخليل، العين، ابن فارس، مقاييس اللغة، الزَّبيدي، تاج العروس: (ظلم).
(6) الخليل، العين: (ظلم).
(7) الزُّحيليّ، التَّفسير المنير: 3/242.

اللّه أجورهم كاملةً غير منقوصة، وقد جاء ذلك على طريقة الجَمْعِ والتَّقسيم[1]، ثمَّ أكَّد تعالى جزاء الكافرين فقال: ﴿وَٱللَّـهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: يُعاقبهم ويجازيهم بما يستحقُّون، أوأنّه تعالى: لا يريدُ ظُلم الظَّالمين[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

وجه المقابلة بين الآيتين:

في التقابل مزيدُ بيانٍ لأثر العقوبة، والثواب

بين قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ مقابلة لطيفة برّزت شدّة عذاب الكفّار، ومديد أجور المؤمنين؛ فالضدُّ يُظهر حُسْنه الضدُّ.

سرّ تقديم جَزاء الكُفَّار على جَزاء المؤمنين:

ناسبَ البدءُ بالكفار ما قبله تهديدًا، ووعيدًا، وإخبارًا بجزائهم

بدأ الحقُّ تبارك وتعالى أوَّلًا بذِكر الكفَّار؛ وذلك لأنَّ ما قبله مِن ذِكْرِ حُكْمِهِ تعالى بَيْنَهُم هو على سبيل التَّهديد والوعيد للكفَّار، والإخبار بجزائهم، فناسبَ البدء بهم؛ ولأنَّهم أقرب في الذِّكر بقوله: ﴿فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، وبكون الكلام مع اليهود الذين كفروا بعيسى، وسَعَوا في قَتله، ثمَّ أتى ثانيًا بذِكر المؤمنين، وعلَّق هنا العذاب على مجرَّد الكُفر، وهناك على توفية الأجر على الإيمان وعمل الصَّالحات؛ تنبيهًا على درجة الكمال في الإيمان ودعاء إليها[3].

عِلَّة التَّعبير بالموصول:

فائدة الموصول بيان علّة العذاب

التَّعبير بالموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ فيه إشارة إلى أنَّ سبب العذاب هو

(1) الطِّيبي، فتوح الغيب: 4/121، الزُّحيليُّ، التَّفسير المنير: 3/242.
(2) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 3/1247.
(3) أبو حيَّان، البحر المحيط: 3/181، والبقاعيُّ، نظم الدُّرر: 4/422.

كُفْرُهم، إذ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ خَاصًّا، أَيْ: كَفَرُوا بِكَ وَجَحَدُوا نُبُوَّتَكَ، وَالظَّاهِرُ الْعُمُومُ[1].

بيانُ معنى الوعيد في الآية:

وَقَوْلُهُ تعالى: ﴿فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ الْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا الْوَعِيدِ هُوَ عَذَابُ الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّهُ وَقَعَ فِي حَيِّزِ تَفْصِيلِ الضَّمَائِرِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ، فَذِكْرُ عَذَابِ الدُّنْيَا هُنَا إِدْمَاجٌ[2].وقال الطِّيبي: إنَّه عِبارة عن التَّأبيد ونفي الانقطاع، وأخذ الزّبدة من المجموع من غير اعتبار مفردات التَّركيب، كقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [هود: 107][3].

بلاغة الجناس والطباق:

المحسّنان أكسَبا التعبير جمالًا، وأحدثا في النّفس شوقًا وترقّبًا

وفي قوله تعالى: ﴿فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ جناسُ اشتقاقٍ، وفي قوله: ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ طباقٌ بين الدُّنيا والآخرة، أكسبا التعبير بهاءً وجمالًا وحسنًا، وأحدثا ميلًا للنفس نحو التشوّق والترقّب إلى لحاظِ العذاب الشّديد في الدّنيا وفي الآخرة، وطبيعته.

صُور توكيد شِدَّة العذاب في الآية:

جماع التأكيدات في الإخبار عن شدّة العذاب يناسبُ سوءَ صنيعهم، وشنيعَ أفعالهم

أكَّد سبحانه وتعالى شِدَّة العذاب في قوله تعالى: ﴿فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بعِدَّة تأكيدات: أوَّلها: بنسبة التَّعذيب إليه، وهو القويُّ القَهَّار الغالب على كلِّ شيءٍ، وفيه إشعارٌ بعدالة العَذاب عَدالة مُطلقة، وثانيها: بالتَّأكيد بالمصدر ﴿عَذَابًا﴾، وثالثها: بالوصف بالشِّدة، ورابعها: بعدم رجائه إنهاءه أو إزالته؛ إذ لَا يوجد لهم من ناصر؛ ولذا قال سبحانه: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾، وهو نفيٌ عامٌّ مُؤكَّد مُستغرق، أي: ليس لهم مِنْ ناصرٍ أيًّا كان هذا النَّاصر، وأيًّا

(1) أبو البحر المحيط: 3/180.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 3/260.
(3) الطِّيبي، فتوح الغيب: 4/122.

كانت نُصرته، ولو كانت ضئيلة[1]. ووُصِفَ الْعَذَابُ بِالشِّدَّةِ لِتَضَاعُفِهِ وَازْدِيَادِهِ. وَقِيلَ: لِاخْتِلَافِ أَجْنَاسِهِ[2].

دلالة المقابلة والتوكيد في بناء الفاصلة:

بيانُ الفاصلة أنّهم ضعفاء مهما كَثُر مناصروهم

قابل ضمير الجمع ﴿لَهُم﴾ بجمع الاسم ﴿نَّٰصِرِينَ﴾، فلم يقل: ومَا لَهُم مِن نَاصِر. ومعناه: ليسَ لواحدٍ منهم ناصرٌ واحد[3]. وجاءت الفاصلة ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ لتوضِّح معنًى جديدًا، وهو أنَّهم ضعفاء، فمهما كَثُر مناصروهم فلن يدرؤوا عنهم العذاب، و﴿مِّن﴾ مَزِيدة لتأكيد الاستغراق[4].

بيانُ اختيار صفة الإيمان في حُكم الله على المؤمنين:

اختيارُ صِفة الإيمان لأمن اللَّبس، والإيضاح بصِدقِ النَّبي الخاتم

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، ولم يقل: (وأمَّا الَّذين اتَّبعوكَ)؛ لئلَّا يلتبس الحال على أهل الكتاب، فيظنُّون أنَّ المُراد به نبيُّهم عيسى، وإن كان من اتَّبع النَّبيَّ محمَّدًا ﷺ منهم قدِ اتَّبعه في بشارته به، والأمر باتِّباعه، وفي هذا التَّعبير كذلك إيضاحٌ لأتباعه غاية الإيضاح بصِدقِ هذا النَّبي الخاتم، فليس لهم من سبيل إلَّا اتِّباعه[5].

بلاغةُ الالتفات في الآية:

الالتفاتُ في الخِطاب أبلغُ في البشارة، وأزجر في النّذارة، وتفنّن في الفصاحة

قَالَ تعالى: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ﴾، بِالْيَاءِ عَلَى قِرَاءَةِ حفص ورويس[6]، وَذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الِالْتِفَاتِ، وَالْخُرُوجِ مِنْ ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ إِلَى ضَمِيرِ الْغَيْبَةِ لِلتَّنَوُّعِ فِي الْفَصَاحَةِ، ولِيكونَ ذلك أبلغَ في البشارة، وأزجرَ في النّذارة[7].

(1) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 3/1246.
(2) أبو حيَّان، البحر المحيط: 3/180.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/122، والبروسوي، روح البيان: 2/42.
(4) الشربيني، السراج المنير: 1/231.
(5) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 4/422.
(6) ابن الجزري، النشر: 2/240، والدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص: 224.
(7) أبو حيَّان، البحر المحيط: 3/181.

توجيه قراءة الجمهور ﴿فَنُوَفِّيهِمْ﴾، بنون العظمة:

قَرَأَ الْجُمْهُورُ: ﴿فَنُوَفِّيهِمْ﴾[1]، بِالنُّونِ الدَّالَّةِ عَلَى الْمُتَكَلِّمِ الْمُعَظِّمِ شَأْنَهُ، وَلَمْ يَأْتِ بِالْهَمْزَةِ؛ لِيُخَالِفَ فِي الْإِخْبَارِ بَيْنَ النِّسْبَةِ الْإِسْنَادِيَّةِ فِيمَا يَفْعَلُهُ بِالْكَافِرِ وَبِالْمُؤْمِنِ، كَمَا خَالَفَ فِي الْفِعْلِ؛ وَلِأَنَّ الْمُؤْمِنَ الْعَامِلَ لِلصَّالِحَاتِ عَظِيمٌ عِنْدَ اللَّهِ، فَنَاسَبَهُ الْإِخْبَارُ عَنِ الْمَجَازِيِّ بِنُونِ الْعَظَمَةِ[2].

عِلَّة التَّعبير بلفظِ ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ في الآية:

أشعرَ لفظُ (الظالمين) بأنَّ كفرهم قد تعدّى الحُدود، وتجاوزها

قُصِدَ بإيراد لفظ الظُّلم في الآية الإشعارُ بأنَّهم بكفرهم مُتعدُّون مُتجاوزون عَنِ الحُدود، واضعون للكُفر مكان الشُّكر والإيمان، وجملة: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تذييلٌ لما قبله مُقرّر لمضمونه[3].

صورة الاحتباك في الآية:

إثباتُ لازم المحبَّة للمؤمنين أبلغ في النعيم، وإثباتُ عدمها في الظَّالمين أَنْكَأُ في العذاب

هذه الآية الكريمة من الاحتباك، وأصلُ الآية: فنُوفِّيهم لأنَّا نُحبُّهم، واللّه يحبُّ المؤمنين، والَّذين ظلموا نحبط أعمالهم؛ لأنَّا لا نُحبُّهم، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فتَوفِيَة الأجْر أوَّلًا ينفيها ثانيًا، وإثبات الكراهة ثانيًا يثبت ضدّها أوَّلًا، وحقيقة الحال أنَّه أثبت للمؤمنين لازم المحبَّة المراد منها في حقِّ اللّه سبحانه وتعالى؛ لأنَّه أبلغ في النعيم، ولازم المراد من عدمها في الظَّالمين لأنَّه أَنْكَأُ في العذاب[4].

مناسبة الفاصلة للسِّياق:

في الفاصلة إثباتٌ بأنَّ الكُفر والظُّلم قرينان، وأنَّ الإيمان والعَدْلَ مُتلازمان

ذيَّل سبحانه وتعالى الآية بقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ لإعلان عدالته، ولإثبات أنَّ الكُفر والظُّلم قرينان، وأنَّ الإيمان والعَدْلَ مُتلازمان، ولبيان استحقاق الَّذين آمنوا وعملوا الصَّالحات لِمَا أُعطوا من ثوابٍ ونعيمٍ مُقيمٍ[5].

(1) ابن الجزري، النشر: 2/240، والدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص: 224.
(2) ابن الجزري، النشر: 2/240.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 2/45.
(4) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 4/423.
(5) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 3/1247.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 5 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-57-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 5 : سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-57-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»